(سورة ص)

{ ص وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ } { بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ }

{ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ }

{ وَعَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَـٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ }

{ أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }

{ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ }

{ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلآخِرَةِ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ ٱخْتِلاَقٌ }

{ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ }

{ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ }

{ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِي ٱلأَسْبَابِ }

{ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّن ٱلأَحْزَابِ }

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو ٱلأَوْتَادِ }

{ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُوْلَـٰئِكَ ٱلأَحْزَابُ }

{ إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ }

{ وَمَا يَنظُرُ هَـٰؤُلآءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ }

{ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ }

{ ص } أقسم بالصورة المحمدية، والكمال التامّ المذكور بالشرف والشهرة، بأنه أتمّ الكمالات، وهو العقل القرآني الجامع لجميع الحكم والحقائق من الاستعداد التامّ المناسب لتلك الصورة الشريفة، كما روي عن ابن عباس: « (ص) جبل بمكة، كان عليه عرش الرحمن عاماً » ، دلّ عليه قوله: { في عزة وشقاق } وحذف جواب القسم في مثل ذلك غير عزيز، وهو أنه لحق يجب أن يتّبع ويذعن له ويقبل بخضوع وذلّة { بل الذين } حجبوا عن الحق بأنائيتهم وضادّوه في استكبار وعناد ولجّ وخلاف لظهور أنفسهم بباطلها في مقابلة الحق.

{ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }
{ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ }
{ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ }
{ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ }

وقوله: { اصبر على ما يقولون } معناه: داوم استقامتك في التوحيد، وعارض أذاهم بالصبر في التمكين، ولا تظهر نفسك في مقابلة أذاهم بالتلوين، فإنك قائم بالله متحقق بالحق فلا تتحرك إلا به { واذكر } حال أخيك { عبدنا } المخصوص بعنايتنا القديمة { داود ذا الأيد } أي: القوّة والتمكين والاضطلاع في الدين، كيف زلّ عن مقام استقامته في التلوين فلا يكن حالك في ظهور النفس حاله.

ثم وصف قوّة حال داود عليه السلام وكماله بقوله:

{ إنه أوّاب } رجّاع إلى الحق عن صفاته وأفعاله بالفناء فيه.

{ إنّا سخّرنا } جبال الأعضاء معه { يسبحن } بالانقياد والتمرّن في الطاعة أوقات العبادة وقت عشيّ الاستتار واحتجاب نور شمس الروح بظهور النفس وإشراق التجلي وسلطان نور شمس الروح على النفس لا يتفاوت حاله في العبادة بالفترة والعزيمة في الوقتين لكمال تمرين نفسه وبدنه في الطاعة، وطير القوى بأجمعها { محشورة } مجموعة، متسالمة بهيئة العدالة والانخراط في سلك الوحدة في تسبيحاتها المخصوصة بكل واحدة منها { كل له أوّاب } رجّاع لتسبيحه بتسبيحه { وشددنا ملكه } قوّيناه بالتأييد وإيتاء العزّة والهيبة، وإعطاء العز والقدرة لائتلاف نفسه بأنوار تجليات القهر والعظمة والكبرياء والعزّة واتصافه بصفاتنا الباهرة، فيهابه كل أحد ويجله ويذعن لسلطنته ويبجله

{ وآتيناه الحكمة } لاتصافه بعلمنا { وفصل الخطاب } والفصاحة المبينة للأحكام، أي: الحكمة النظرية والعملية والمعرفة والشريعة.

وفصل الخطاب: هو المفصول، المبين من الكلام المتعلق بالأحكام.

{ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ }
{ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ }
{ إِنَّ هَذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ }
{ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ }
{ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ }
{ يٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ }

ثم بين تلوينه وظهور نفسه في زلته، وتبيينه الحق بالعتاب على خطيئته وتأديبه إياه وتداركه بتوبته بقوله: { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب } { وظنّ } أي: تيقن { داود أنما } ابتليناه بامرأة أوريا { فاستغفر ربّه } بالتنصل عن ذنبه بالافتقار والالتجاء إليه في المجاهدة وكسر النفس وقمعها بالمخالفة { وخرّ } بمحو صفات النفس { راكعاً } فانياً في صفات الحق { وأناب } إلى الله بالفناء في ذاته { فغفرنا له ذلك } التلوين بستر صفاته بنور صفاتنا { وإنّ له عندنا لزلفى } بالوجود الحقانيّ الموهوب حال البقاء بعد الفناء { وحسن مآب } لاتّصافه حينئذ بصفاتنا لا بأنائيته ليلتحق بنا ويحكم بأحكامنا في محل الخلافة الإلهية، كما قال:

{ يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس } بالحكم { الحقّ } لا بنفسك ليكون عدلاً لا جوراً { ولا تتّبع الهوى } بظهور النفس فتجور ضالاً عن سبيل الحق إلى سبيل الشيطان.

{ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً
ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ }
{ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلأَرْضِ
أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ }
{ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ }
{ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }
{ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ }
{ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ }
{ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِٱلسُّوقِ وَٱلأَعْنَاقِ }

{ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما } خلقاً { باطلاً } لا حق فيها، بل حقاً محتجباً بصورها لا وجود لها بنفسها فتكون باطلاً محضاً.

{ ذلك ظنّ } المحجوبين عن الحق بمظاهر الكون { فويل } لهم من نار الحرمان والاحتجاب والتقلّب في نيران الطبيعة والأنائية بأشدّ العذاب.

بل لم نجعل { الذين آمنوا } بشهود جماله في مظاهر الأكوان { وعملوا الصالحات } من الأعمال المقصودة بذاتها، المتعلقة بصلاح العالم، الصادرة عن أسمائه { كالمفسدين } المحجوبين الفاعلين بأنفسهم وصفاتهم الأفعال البهيمية والسبعية والشيطانية في أرض الطبيعة { أم نجعل المتّقين } المجرّدين عن صفاتهم { كالفجّار } المتلبسين بالغواشي النفسانية والشيطانية في أعمالهم { ليدّبروا آياته } بالنظر العقلي ما داموا في مقام النفس، فينخلعوا عن صفاتهم في متابعة صفاته { وليتذكر } حال العهد الأول والتوحيد الفطري عند التجرّد { أولو } الحقائق المجرّدة الصافية عن قشر الخلقة.

ثم ذكر تلوين سليمان وابتلاءه تأكيداً لتثبيته، وتقوية له في استقامته وتمكينه { نِعْم العبد } لصلاحية استعداده للكمال النوعي الإنساني وهو مقام النبوّة { إنه أوّاب } رجّاع إليّ بالتجريد.

{ إذ عرض عليه بالعشيّ } وقت قرب غروب شمس الروح في الأفق الجسماني بميل القلب إلى النفس وظهور ظلمتها بالميل إلى المال واستيلاء محبة الجسمانيات واستحسانها، كما قال الله تعالى:

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ }[آل عمران، الآية: ١٤]

إلى قوله: { وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ }.

فإنّ الميل إلى الزخارف الدنيوية والمشتهيات الحسيّة وهوى اللذات الطبيعية والأجرام السفلية يوجب إعراض النفس عن الجهة العلوية، واحتجاب القلب عن الحضرة الإلهية { الصافنات الجياد } التي استعرضها وانجذب بهواها وأحبها { فقال إني أحببت حب الخير } أي: أحببت منيباً حبّ المال { عن ذِكْر ربّي } مشتغلاً به لمحبتي إياه كما يجب لمثلي أن يشتغل بربّه ذاكراً محبّاً له، فاستبدلت محبة المال بذكر ربّي ومحبته فذهلت عنه { حتى توارت } شمس الروح بحجب النفس { ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق } أي: يمسح السيف مسحاً بسوقها يعرقب بعضها وينحر بعضها، كسراً لأصنام: النفس التي تعبدها بهواها وقمعاً لسورتها وقواها، ورفعاً للحجاب الحائل بينه وبين الحق واستغفاراً وإنابة إليه بالتجريد والترك.

{ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ }

{ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ }

{ ولقد فتنا سليمان } ابتليناه مرة أخرى بما هو أشدّ من هذا التلوين وهو إلقاء الجسد على كرسيه، وقد اختلف في تفسيره على ثلاثة أوجه، أحدها: أنه ولد له ابن فهمّ الشياطين بقتله مخافة أن يسخّرهم كأبيه، فعلم بذلك فكان يغدوه في السحابة فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتاً فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربّه.

والثاني: أنه قال ذات يوم: لأطوفنّ على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهنّ ولم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. فعلى هذين الوجهين يكون ابتلاؤه بمحبة الولد،

فظهور النفس بميله إليه إما بشدّة الاهتمام بحفظه وتربيته وصونه عن شياطين الأوهام والتخيلات في سحاب العقل العملي وتغذيته بالحكمة العقلية واعتماده في ذلك على العقل والمعقول واستحاكم أهله لكماله دون تفويض أمره فيه إلى الله واتكاله في شأنه عليه، فابتلاه الله بموته، فتنبه على خطئه في شدّة حبه للغير وغلبة أهله، وإما بظهور النفس في الاقتراح والتمني وغلبة الحسبان والظنّ والاحتجاب عن الاستيهاب بالعادة والفعل وبالتدبير عن التقدير والذهول عن أمر الحق بغلبة صفات النفس، فابتلاه الله بالمعلول البعيد عن المراد الذي تصوّره في نفسه وقدّره، فأناب الرجوع إلى الحق عند التنبه على ظهور النفس وتدارك التلوين بالاستغفار والاعتذار في التقصير.

والوجه الثالث: أنه غزا صيدون مدينة في بعض جزائر البحر، فقتل ملكها وكان عظيم الشأن، وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه بعد أن أسلمت وأحبها وقد اشتدّ حزنها على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه، فأخبر آصف سليمان بذلك، فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش لنفسه الرماد، فجلس عليه تائباً إلى الله متضرّعاً .

وكانت له أمّ ولد يقال لها: أمينة، إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها، وكان ملكه في خاتمه، فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر اسمه صخر على صورة سليمان فقال: يا أمينة، خاتمي! فتختم به وجلس على كرسيّ سليمان وغيّر سليمان على هيئته فأنكرته وطردته، فعرف أن الخطيئة قد أدركته فأخذ يدور على البيوت بتكفف، وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه.

ثم عمد إلى السمّاكين يخدمهم، فمكث على ذلك أربعين صباحاً ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر، فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان، فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم، فتختم به وخرّ ساجداً ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وقذفه في البحر.

{ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ }
{ وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ }{ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلأَصْفَادِ }
{ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }
{ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ }

{ فسخرنا له } ريح الهوى { تجري بأمره رخاء } لينة طيعة منقادة لا تتزعزع بالاستيلاء والاستعصاء { حيث } قصد وأراد { والشياطين } الجنية الباطنة من القوى النفسانية { كل بناء } مقدّر بالهندسة عامل لأبنية الحكم العملية وقواعد القوانين العدلية { وغوّاص } في بحور العوالم القدسية والهيولانية، مخرج لدرر المعاني الكلية والجزئية والحكم العملية والنظرية { وآخرين } من القوى النفسانية والطبيعية { مقرّنين في } أصفاد القيود الشرعية وأغلال الرياضات العقلية والإنسية الظاهرة من العمال المسخرين في الأعمال، والفساق والعصاة المقرّنين في الأغلال.

{ هذا عطاؤنا } المحض { فامنن أو أمسك } أي: أطلق إرادتك واختيارك في الحل والعقد والإعطاء والمنع عند الكمال التام والعطاء الصرف، أي: الوجود الموهوب حال البقاء بعد الفناء كما شئت { بغير حساب } عليك، فإنك قائم بنا مختار باختيارنا متحقق بذاتنا وصفاتنا، وذلك معنى قوله: { وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب }.

{ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ }
{ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ }
{ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ }

{ واذكر عبدنا أيوب } في ابتلائنا إياه عند ظهور نفسه في التلوين بإعجابه بكثرة ماله أو مداهنته لكافر النفس في ظهورها وترك تغذيته إياها بالرياضة والمجاهدة لكون ماشية قواه الطبيعية في ناحيته أو عدم إغاثته لمظلوم العقل النظريّ والقوى القدسية عند استقامته على اختلاف الروايات في التفاسير الظاهرة في سبب ابتلائه، ويمكن الجمع بينها وابتلاؤه بالمرض والزمانة، ووقوع ديدان القوى الطبيعية فيه، واستئكاله وسقوطه على فراش البدن حتى لم يبق منه إلا القلب واللسان، أي: الفطرة والاستعداد الأصليان دون ما اكتسب من

الكمالات { إذ نادى ربّه } بلسان الاضطرار والافتقار في مكمن الاستعداد { أني مسّني الشيطان بنصب وعذاب } أي: استولى عليّ الوهم بالوسوسة فلقيت بسببه هذا المرض والعذاب من الأخلاق الرديئة والاحتجاب.

{ اركض برجلك } أي: اضرب بقوّتك التي تلي أرض البدن من العقل العملي المسمى صدر أرض بدنك تنبع عينان من الحكمة العملية والنظرية { هذا مغتسل } أي: العملية المزكية للنفوس، المطهرة من ألواث الطبائع، المبرئة من أمراض الرذائل { بارد } ذو روح وسلامة { وشراب } من النظرية، أي: العلم المفيد لليقين الدافع لمرض الجهل، والزمانة عن السير، فتغتسل وتشرب منه تبرأ بإذن الله ظاهرك وباطنك وتصح وتقوى.

{ ووهبنا له أهله } قيل: كان له سبعة أبناء وسبع بنات، فانهدم عليهم البيت في الابتلاء فهلكوا فأحياهم الله عند كشف الضرّ وإعادة أموال الكمالات عليه، وهي إشارة إلى الروحانية والنفسانية الهالكة في التلوين واستيلاء الطبيعة البدنية أو البالغة في التلوين الأعظم وخراب البدن واستئكال الديدان إياه حتى لم يبق منه إلا القلب ولسان الاستعداد الفطري، فأحياهم عند الإنابة والرجوع إلى حال الصحة والقوة وكشف المرض والزمانة بالشرب والغسل من العينين المذكورتين { ومثلهم معهم } باكتساب الملكات الفاضلة والأخلاق الحميدة والصفات الجميلة حتى صارت القوى الطبيعية النفسانية أيضاً روحانية في النشأة الثانية وحدوث القوى البدنية الفانية { رحمة منّا } بإفاضة الكمالات التي سألها استعداده { وذكرى } وتذكيراً { لأولي } الحقائق المجرّدة عن قشور المواد الجسمانية الذين يفهمون بسمع القلب حتى يعتبروا أحوالهم بحاله ويتذكروا ما في فطرتهم من العلوم.

{ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَٱضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ
إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }

{ وخذ بيدك ضغثاً } قيل: إنه حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إن برىء، واختلف في سبب حلفه فقيل: أبطأت ذاهبة في حاجة، وقيل: أوهمها الشيطان أن تسجد له سجدة ليردّ أموالهم الذاهبة، وقيل: باعت ذؤابتين لها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عند قيامه. وقيل: أشارت إليه ليشرب الخمر، كلها إشارات

إلى التلوين المذكور بظهور النفس بإبطائها وتكاسلها في الطاعات أو طاعة شيطان الوهم وانقيادها له في تمني الحظوظ وترك ما يتعلق به القلب في القيام عن مرقد البدن والتجرّد عن الهيئات المنشطة المشجعة من العلوم النافعة والأعمال الفضيلة، واستبدال الحظوظ القليلة المقدار، اليسيرة الوقع، والخطر بها، أو المراءاة بها، لاستجلاب حظ النفس أو شرب خمر الهوى والميل إلى ما يخالف العقل. وحلفه إشارة إلى نذره المخالفات والرياضات المتعبة والمجاهدات المؤلمة أو ما ركز في استعداده في محبته التجريد والتزكية بالرياضة وعزيمة تأديب النفس بالأخلاق والآداب بالمخالفات المؤلمة بمقتضى العهد الأول وحكم ميثاق الفطرة وأخذ الضغث. والضرب به إشارة إلى الرخصة والطريقة السهلة السمحة من تعديل الأخلاق بالاقتصار على الأوساط والاعتدالات من الرياضات والمخالفات لصفاء الاستعداد وشرف النفس ونجابة جوهرها دون الإفراط فيها، والأخذ بالعزائم الصعبة كما قال عليه الصلاة والسلام:

« بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ».

{ ولا تَحْنث } بترك التأديب بالكلية ونقص العزيمة في طلب الكمال، وترك الوفاء بالنذر الفطري { إنّا وجدناه صابراً } في بليته وطلبه للكمال، فرحمناه، وليس كل طالب صابراً { نِعْمَ العبد إنه } رجّاع إلى الله بالتجرّد والمحو والفناء.

وَٱذْكُرْ عِبَادَنَآ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلأَيْدِي وَٱلأَبْصَارِ
{ إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ }
{ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلأَخْيَارِ }
{ وَٱذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلأَخْيَارِ }
{ هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ }
{ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلأَبْوَابُ }
{ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ }
{ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ }

{ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ }

{ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ }

{ واذكر عبادنا } المخصوصين من أهل العناية { أولي الأيدي والأبصار }

أي: العمل والعلم لنسبة الأول إلى الأيدي والثاني إلى البصر والنظر، وهم أرباب الكمالات العملية والنظرية { إنّا أخلصناهم } صفيناهم عن شوب صفات النفوس وكدورة الأنائية وجعلناهم لنا خالصين بالمحبة الحقيقية ليس لغيرنا فيهم نصيب، ولا يميلون إلى الغير بالمحبة العارضية لا إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم بسبب خصلة خالصة غير مشوبة بهم آخر هي { ذكرى الدار } الباقية والمقرّ الأصلي،

أي: استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكرهم لعالم القدس وإعراضهم عن معدن الرجس مستشرفين لأنوارنا لا التفات لهم إلى الدنيا وظلماتها أصلاً.

{ وإنهم عندنا } أي: في الحضرة الواحدية { لمن } الذين اصطفيناهم لقربنا من بني نوعهم { الأخيار } المنزهين عن شوائب الشرّ والإمكان والعدم والحدثان

{ هذا ذكر } أي: هذا باب مخصوص بذكر السابقين من أهل الله المخصوصين بالعناية { وإنّ للمتقين } المجرّدين من صفات نفوسهم دون الواصلين إلى بساط القرب والكرامة الناظرين إليه في جنة الروح بالمشاهدة { لحسن مآب } في مقام القلب من جنة الصفات { جنات عدن } مخلّدة { مفتحة لهم } أبوابها بالتجليات { يدخلونها } من طرق الفضائل الخلقية والكمالات { متكئين فيها } على آرائك المقامات { يدعون فيها بفاكهة كثيرة } من المكاشفات اللذيذة { وشراب } المحبة الوصفية.

{ وعندهم قاصرات الطرف } من الأزواج القدسية وما في مراتبهم من النفوس الفلكية والإنسية { أتراب } متساوية في الرتب { ليوم الحساب } لوقت جزائكم من الصفات الإلهية على حساب فنائكم من الصفات البشرية { ما له من نفاد } لكونه غير مادي فلا ينقطع.

{ هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ }

{ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ }

{ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ } { وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ }

{ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ }

{ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ }
{ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي ٱلنَّارِ }
{ وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ ٱلأَشْرَارِ }
{ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلأَبْصَار }
{ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ }

{ هـذا } بـاب في وصـف الجنـة وأهلهـا { وإنّ } للذيـن طغـوا حدودهـم بصفـات النفـس وظهورهـا فنازعـوا الحـق علـوّه وكبريـاءه باسـتعلائهم وتكبرهـم { لـشر مـآب } إلى جهنـم الطبيعـة الآثاريـة ونـيران الظلـمات الهيولانيـة { يصلونهـا } بفقـدان اللـذات ووجـدان الآلام { هـذا فليذقـوه حميـم } الهـوى والجهـل { وغسّـاق } الهيئـات الظلمانيـة والكـدورات الجسـمانية.

{ و } خـزي وعـذاب { آخـر } مـن نوعـه مـن مذوقـات أخـر مـن مثلـه، أصنـاف مـن العـذاب في الهـوان والحرمـان { هـذا فـوج } مـن أتباعكـم وأشـباهكم أهـل طبائـع السـوء والرذائـل المختلفـة { مقتحـم معكـم } في مضايـق المذلـة ومداخـل الهـوان.

قـال الطاغـون: { لا مرحبـاً } بهـم لشـدّة عذابهـم وكونهـم في الضيق والضنك واسـتيحاش بعضهـم مـن بعض لقبـح المناظـر وسـوء المخابر

{ قالـوا } أي: الأتبـاع { بـل أنتـم لا مرحبـاً بكـم } لتضاعـف عذابكـم ورسـوخ هيئاتكـم { أنتـم قدّمتمـوه لنـا } بإضلالنـا والتحريـض عـلى أعمالنـا، وهـذه المقـولات قـد تكـون بلسـان القـال وقـد تكـون بلسـان الحـال، والرجـال الذيـن اتخذوهـم سـخرياً هـم الفقـراء الموجـودون والصعاليـك المحققـون عدوهـم مـن الأشرار في الدنيـا لمخالفتهـم إياهـم في الإغـراء عـما سـوى اللـه والتوجـه إلى خـلاف مقاصدهـم وتـرك عاداتهـم ومطالبهـم بـل { زاغـت عنهـم } أبصارهـم لكونهـم محجوبـين بالغـواشي البدنيـة والأمـور الطبيعيـة عـن حقائقهـم المجـرّدة وذواتهـم المقدّسـة كـما حجبـوا بالعـادات العاميـة والطرائـق الجاهليـة عـن طرائقهـم وسـيرتهم عـلى أن أم منقطعـة، وإنمـا كان تخاصـم أهـل النـار حقـاً لكونهـم في عـالم التضـاد ومحـل العنـاد، أسراء في قيـود الطبائـع المختلفـة وأيـدي القـوى المتنازعـة والأهـواء الممانعـة، والميـول المتجاذبـة.

{ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ }
{ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ }
{ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ } { أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ }
{ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ }
{ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }
{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ }
{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }
{ فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ }{ إِلاَّ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ }
{ قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ }
{ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }

ما أنا إلا منذر لا أدعوكم إلى نفسي ولا أقدر على هدايتكم لأني فان عن نفسي وعن قدري، قائم في الإنذار بالله وصفاته.

{ وما من إله } في الوجود { إلا الله الواحد } بذاته { القهّار } الذي يقهر كل من سواه بإفنائه في وحدانيته { ربّ } الكل الذي يربّ كل شيء في حضرة واحديته باسم من أسمائه { العزيز } الذي يغلب المحجوب بقوّته فيعذبه بما حجب به في سترات جلاله لاستحقاقه فيض الربوبية من حضرة القهّار المنتقم وسطوات العذاب المحتجب { الغفّار } الذي يستر ظلمات صفات النفس بأنوار تجليات جماله لمن بقي فيه نور فطرته فيقبل نور المغفرة لبقاء مسكة من نوريته

{ قل هو } أي: الذي أنذرتكم به من التوحيد الذاتي والصفاتي

{ نبأ عظيم أنتم عنه معرضون } ثم احتجّ على صحة نبوّته باطلاعه على اختصام الملأ الأعلى من غير تعلم إذ لا سبيل إليه إلا الوحي، وفرّق بين اختصام الملأ الأعلى واختصام أهل النار بقوله في تخاصم أهل النار: إن ذلك لحق، وفي اختصام الملأ الأعلى { إذ يختصمون } لأن ذلك حقيقي لا ينتهي إلى الوفاق أبداً، وهذا عارض نشأ من عدم اطلاعهم على كمال آدم عليه السلام الذي هو فوق كمالاتهم.

وانتهى إلى الوفاق عند قولهم:

{ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ } البقرة، الآية: ٣٢]،

وقوله تعالى:**{ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ }** [البقرة، الآية: ٣٣] على ما ذكر في سورة (البقرة) عند تأويل هذه القصة. وسجودهم لآدم عليه السلام: تعظيمهم له وانقيادهم وخضوعهم لانكشاف كماله الذي هو فوق كمالاتهم عليهم السلام، وإباء إبليس واستكباره:عدم انقياد شيطان الوهم وإذعانه لاحتجابه عن حقيقته بانطباعه في المادة، ولهذا قال تعالى:

{ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ } [ص، الآية: ٧٤].

{ لما خلقت بيدي } أي: خلقته بصفتي الجمال والجلال والقهر واللطف وجميع أسمائي المتقابلة المندرجة تحت صفتي القهر والمحبة لتحصل عند الجمعية الإلهية في الحضرة الواحدية بخلاف حال الملأ الأعلى، فإنّ من خلق منهم بصفة القهر لا يقدر على اللطف وبالعكس { أَسْتَكْبرت } أي: أعرض لك التكبر والاستنكاف { أم كنت } عالياً عليه، زائداً في المرتبة؟ فأجاب المحجوب: بأني عال خير منه في الأصل لعدم اطلاعه على حقيقته المجرّدة واطلاعه على بشريته، ولا شك أن الروح الحيواني الناري الذي خلق منه اللعين أشرف من المادة الكثيفة البدنية ولكن الاحتجاب عن الجمعية الإلهية واللطيفة الروحانية بعث اللعين على الإباء حتى تمسك بالقياس وعصى الله في سجود الناس.

{ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } { وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ }

{ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }

{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ } { إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ }

{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }

{ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ }

{ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ }

{ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ }

والرجيم واللعين من بَعُدَ عن الحضرة القدسية المنزّهة عن المواد الرجسية

بالانغماس في الغواشي الطبيعية والاحتجاب بالكوائن الهيولانية، ولهذا وقّت اللعن بيوم الدين وحدّد نهايته به، لأن وقت البعث والجزاء هو زمان تجرّد الروح عن البدن ومواده، وحينئذ لا يبقى تسلطه على الإنسان وينقاد ويذعن له في الوقت المعلوم الذي هو القيامة الكبرى فلا يكون ملعوناً كما قال عليه السلام:

« **إلا أن شيطاني أسلم على يدي** » والإنظار للإغواء واللعن ينتهيان إلى ذلك الوقت، لكن الذين أخلصهم الله لنفسه من أهل العناية عن شوب الكدورات النفسية وحجب البشرية والأنائية، وصفّى فطرتهم عن خلط ظلمة النشأة لا يمكنه إغواؤهم البتة في البداية أيضاً، فكيف في النهاية؟؟؟؟.

واللعن إن ارتفع بإسلامه وانقياده هناك لكن لزمه كونه جهنمياً لملازمته الطبيعة الهيولانية والمادة الجسمانية فلا يتجرد أصلاً وإن كان قد يرتقي إلى سماء العقل والأفق الروحانية بالوسوسة والإلقاء ويتصل في جنة النفس بآدم عند الإغواء ولا يزال يطرد عن ذلك الجناب { فاخرج منها فإنك رجيم }.

وإنما أقسم على الإغواء بعزّته تعالى لأنه مسبّب عن تعزّزه بأستار الجلال وسرادقات الكبرياء، وتمنعه عن إدراك إبليس لفنائه بسحب الأنوار.

وأقسم الله تعالى في مقابلته بالحق الثابت الواجب الذي لا يتغير على إملائه جهنم منه ومن أتباعه لوجود ذلك التعزز وملازمة هؤلاء جهنم دائماً أبداً على حاله لا يتغير ولا يتبدّل، لأن تجرّد المجرّد بالذات وتعلّق المتعلق بالطبع، أمر تقتضيه الذوات والأعيان والحقائق في الأزل غير عارض فلا يزال كذلك أبداً.

{ قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ }

{ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } { وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ }

{ قل ما أسألكم عليه من أجر } ولا غرض لي في ذلك، فإن أقوال الكامل المحقق بالحق مقصودة بالذات غير معلّلة بالغرض { وما أنا من المتكلفين } أي: المتصنعين الذين ينتحلون الكمالات ويظهرون بأنفسهم وصفاتها، ويدعون كمالات الله لأنفسهم، بل فنيت عن نفسي وصفاتها، فالله القائل بلساني { ولتعلمنّ نبأه بعد حين } عند القيامة الصغرى أو الكبرى لظهور تأويله حينئذ.